

أرونيس بين لغة الثورة ولغة اللّفة

ابراهيم محمود

قبل كل شيء :

كله. الأزمنة كلها. الأمكنة كلها. هذا هو الشعر الحديث. الذي يتألق فيه نبض الحياة. يحمل الحياة بكل أبعادها. بوضوحها وغموضها.

وأدونيس هو النموذج:

الوضوح والغموض. هما معيار القصيدة الأدونيسية. الوضوح لا يعطي للشعر هويته الشعرية (الشعر نقيض الوضوح الذي يجعل من القصيدة سطحاً بلا عمق. ص ١٢٤) هذا ما يقوله في كتابه «مقدمة الشعر العربي». رغم وجود الغموض في شعر أدونيس - فهو غموض يهيب بالقارئ أن يصحو، وأن يتقدم باتجاه المستقبل. يقول د. غالي شكري (أدونيس يرجع بالغموض في الشعر الحديث إلى فقدان الأفكار المشتركة بين الشاعر والقارئ، وفقدان اللغة المشتركة، والثقافة المشتركة). الشعر لدى أدونيس هو رؤيا، قفزة باتجاه العالم الذي لم يحدد بعد - لكن هذا القول، يقابل معارضة من قبل نقاد الشعر،

خارج الرحم تكون. تحمل اسماً. ككل الأسماء. حمله غيرك. اسماً عادياً. هذا الاسم قد يحمل في حروفه جنين عبقرية، يكبر مع الأيام. هنا يكمن التفرد. تحمل وجهاً عادياً، وقد يكون متميزاً. حين يكون الدم الذي يجري في عروقه نادراً. تتعلم لغة ككل الناس. لغة عادية. تكون موجة من ملايين الموجات في خضم الوجود العادية. قد تتميز. حين تكون مشحوناً بالأضواء ومتمثلاً بالآلىء. يشهد لك الشاطيء والتاريخ. يشار إليك بالبنان - تولد في زمن محشو بالأصوات. قد يكون صوتك هو الصوت الأطفى على كل الأصوات. يحمل رقصة النار، وولادة البرق، وانبثاق الينبوع. يحمل من عدّ الحواس الخمس، وهي موجودة عند الجميع، حاسة متميزة يحملها العطاء. حاسة سادسة. أو كما يسميها «كولن ولسن» في كتابه «الإنسان وقواه الخفية» بالملكة س - تلك الملكة الخفية التي تمتلكها الكائنات الإنسانية للانتقال بها إلى ما وراء الحاضر.

تكون المبدع، وابداعك يكمن في لغتك - ولغتك تكمن في أنها تلد لغة أخرى. شحنة كهربائية تستلقت الأنظار. اسمها العبقريّة. اسمها الشعرية. اسمها الموهبة الفذة.

عن أدونيس والشعر الحديث:

لم يعد الشعر وقوفاً على الأطلال، أو وصف راحلة، أو غزل حببية بالمعنى السطحي للكلمة، ولا مدحاً ولا هجاء، ولا جمعاً للكلمات. صار الشعر وقوفاً على النار، ورقصة على جراتها وتوهجاً. صار الكاميرا السينائية التي تلاحق الحياة اليومية بكل ما فيها من - سواد وبياض، وتصور كل أحداثها. صار غزلاً للعالم بالمعنى الأعمق للكلمة. صار دخولاً في قلب الأحداث، وتفجيراً للكلمات.

صار الشعر يحمل في عروقه المدينة بكل تناقضاتها ويتجاوزها، تتجاوز الكلمة بوصفها صورة سكونية. أعطائها بعداً جديداً. بعداً شمولياً. أعطائها استمرارية زمنية. لم يعد قارئه، ذاك الذي يسمع ويصفق.. صار شاعراً هو الآخر، ينحرف مع تيار الشاعر. يفكر معه. ينقلب فوق أمواجه. صار الشعر يتجاوزاً للمحدود، صار انطلاقة نحو المطلق. يحمل في اندفاعه العالم

أو لنقل من قبل بعضهم. لماذا؟ يقول أحد يوسف داوود (والحقيقة أن الشعر الحديث لا يتجه إلى العالم الذي لم يحدد بعد، وإنما إلى العالم القائم المتحد، الآن، في الواقع، والآخذ بالتحد في الوعي نتيجة انكشافه له).

يبدو أن داوود لم يفهم ما تعنيه - كلمة - اللاتحد - الأدونيسية. أو بصيغة أخرى تعمد ألا يفسرها بضمونها الحقيقي. شعر أدونيس ينطلق من الماضي، من الحاضر باتجاه المستقبل - يقول أدونيس (هذا السفر إلى ما وراء الواقع لا يعني هرباً من الواقع. الاقتلاع هنا يجيء حيناً إلى المزيد من الانغراس. الهجرة هنا عتبة ثانية إلى العودة، والسفر إياب آخر).

الشاعر في مفهوم أدونيس يكتب للمستقبل. (ومن هنا يحدث أن يبدو الشاعر غامضاً، متناقضاً، تتعاقب في كلماته ومشاعره النار والماء، حتى ليخيل للكثيرين أن قصائده كأموج البحر يحو بعضها البعض الآخر).

واللغة عند أدونيس، تتحول إلى لغة أخرى - أي لغة داخل اللغة. اللغة اجتماعية، وعندما يأتي الشاعر ليستعملها، تتحول

إلى لغة أخرى، تلد بين أصابعه سبلاً من المعاني - (ما لا تعرف اللغة العادية أن ترجمه، هو أحد مجالات الشعر. يصبح الشعر في هذه الحالة ثورة مستمرة على اللغة).

يجلو للبعض أن يقول إن أدونيس يفصل بين الشعر والمجتمع، أو اللغة الشعرية، ولغة عامة الناس. أي أن الشاعر يكتب قصيدته كما يجلو له. والحقيقة أن الشاعر ملتحم بالواقع وعندما يكتب قصيدته، يعطيها وجودها، يعطيها بعداً آخر. الشعر لدى أدونيس أو الشعر الحديث بشكل عام ليس قطعة مستقيمة، بل هو خط مستقيم، ليس دائرة مغلقة، بل دائرة تتسع باستمرار ولا تتوقف، تنفتح وتنغلق بشكل دائم، تأخذ في التصاعد باتجاه الأعلى. تبدأ من نقطة غير محددة، وتنتهي عند نقطة غير محددة، وقد لا تنتهي..

وشعر أدونيس عالم قائم بذاته، له حضوره الكلي. يمتد، يتمص العالم. نعم لا تخلو القصيدة الأدونيسية من الغموض. وهناك تبرير، أو قد يوجد هناك تبرير لهذا الغموض. ألا وهو أن أدونيس يريد من القارئ أن يتحول إلى شاعر آخر كي يفهم ما يقول، ودعوة إلى السير باتجاه المستقبل، والمستقبل يكمن فيه الغموض، والغموض مغامرة - يريد أدونيس أن تكون (القصيدة في هذا العهد كيميائية لفظية) أن تكون معادلة. الطرف الأول هو الشاعر والآخر هو العالم. والتفاعل مستمر بينها لا يتوقف. ومن هنا، أو من هذه النقطة نستطيع أن نعرف لماذا وكيف تكون لغة الشعر عند أدونيس، لغة خلق - أو اللغة تتعلم ما لم تتعلم أن تقوله - أو الشعر أفق مفتوح - أو القصيدة توحى بالحضور الشامل - إلي آخر ما هنالك من تعاريف أدونيس للشعر ولغته. ولمفهومه عن ثورة اللغة ككائن يتطور. ولغة الثورة. كعنصر يدخل في مسيرة التاريخ.. وأخيراً (يبقى لنا شعر أدونيس الذي أدى بالفعل دوراً ثورياً داخل حركة الشعر العربي الحديث، وهذا يكفي ويزيد) - والقول للناقد المعروف محمد دكروب.

لماذا قبر من أجل نيويورك:

أما لماذا اخترت قصيدة - قبر من أجل نيويورك - المنشورة في ديوان الشاعر - وقت بين الرماد والورد - فذلك لعدة أسباب:

١ - لأنها تمثل القصيدة الحديثة خير تمثيل. حيث الشكل والمضمون متحدان في كل واحد.

٢ - لأنها نموذج للقصيدة الأدونيسية. الكلمة ليست عادية، واللغة هي لغة أخرى. أو لغة داخل لغة.

٣ - لأنها تمثل رؤية أدونيس - تمثل حالة من حالات الشاعر. في عالم مشحون بالتعظيم الشامل والصراع - صراع الحياة، بكل ما تمثله من قيم وشرائع وشهوات وغرائز، ببياضها وسوادها.

٤ - لأنها صيرورية، يحق لها الاستمرار، ليست آنية نيويورك هي مصدر القمع والاستغلال.

٥ - لأن أدونيس جرب فيها جميع الألوان الفنية الشعرية

الحديثة - اسقاطات تاريخية - أسماء الأمكنة الكثيرة - الشخصيات التاريخية.

٦ - لأنها قصيدة يتداخل فيها الوضوح والغموض.

٧ - لأنها أولاً وأخيراً قصيدة لها حضورها الكلي. بنائها الشعري. وإيقاعاتها الباطنية المتأوجة الأشبه بسمفونية تتصارع فيها الألوان. في البدء:

يدخل الشاعر نيويورك، يتفاعل معها، يتحسس كل شيء فيها، يقرأ تاريخها الأسود - هذه التي تمثل قمة العنصرية والمخطاط الحضارة - يشم فيها رائحة الموت، يتألم حين يرى خيرات وطنه هناك، مقابل لا شيء، يشور، يستنفر يعلن الثورة، يعلن فضائحتها، تشور لغته، يشور هو، يحن إلى بيروت. بيروت الوطن ككل - ولكن قبل كل شيء يكون قد حفر لنيويورك قبراً، معلناً نهايتها - من هنا جاءت التسمية - قبر من أجل نيويورك - شخص المدينة، حفر لها قبراً، وأعلن موتها الزؤام.. في القصيدة، تلموج وتتواتر حالات الشاعر.. عبر عشرة مقاطع في قصيدة طويلة - ٢٧ صفحة - مستخدماً فيها كل براكينه الشعرية الحديثة...

من هي نيويورك:

حتى الآن ترسم الأرض اجاصة

أعني ثدياً

لكن، ليس بين الثدي والشاهدة إلا حيلة هندسية:

نيويورك،

حضارة بأربع أرجل، كل جهة قتل وطريق إلى القتل،

وفي المسافات أنين العرقى

الزمن مستمر، الأرض هي هي، كيف؟ حتى الآن هي مصدر للمتعة، للذة، بين الموت والحياة - هناك نيويورك، نيويورك، التي تعرف متى تقتل، ومتى تحيي. إنها مجرد حضارة متوحشة حيوانية، كل هدفها القتل..

الزمن يسير، وضحاياها في اطراد. وبخلاف ما تدعيه من حبها للبشر والحرية، هو مجرد اقتراء -

نيويورك،

امرأة - تمثل امرأة

في يد ترفع خرقة يسميها الحرية وورقاً نسميه

التاريخ وفي يد تحنق طفلة اسمها الأرض.

هذه هي حقيقتها، تدعي الحرية شكلاً، وتقتلها، تاريخها مسلسل إجرامي، الأرض طفل، أو طفلة بريئة، ونيويورك هي، القاتلة.

في كلمات أمثال: اجاصة. حضارة بأربع أرجل - أنين العرقى - خرقة يسميها الحرية - طفلة اسمها الأرض - صور عادية لا غموض فيها - فالأرض كروية وللمتعة - حضارة نيويورك لا أخلاقية - الحرية خرقة صورة مألوفة، الأرض طفلة - صورة ليس فيها أي غموض.

حجر مكة وماء دجلة.....

.....

وأقول: منذ يوحنا المعمدان، يحمل كل منا رأسه المقطوع
في صحن وينتظر الولادة الثانية.

من هذا الجو المشحون بالرعب ورائحة الدم والملاحقات،
الذي يلف نيويورك، ينتقل الشاعر إلى الوطن، الوطن
المطمون.. فإذا رأى؟ رآه يتخبط في هوة العذاب والضعف،
وفي وحل الهزائم، كل شيء ليس لصالحه.. حتى الزمن شاخ،
أصبح بلا قيمة، إنه يحتضر، ويسير باتجاه الموت وباتجاه حياة
ملؤها الظلام. ملؤها الانهيار والنزف.. يرى أهوالاً.. يجتد
غضبه.. يرى الحقيقة.. الوجود يقوم على شيء واحد، مقابل
موت الشيء الآخر. هناك المنفى والحرية.. وصاحب القوة
باسمه تكون الصادرات والواردات، حتى الوجود يهر
باسمه....

وينتقل إلى نقطة أخرى. يرى نيويورك المتوحشة، وقد
اقتربت كل شيء في وطنه: الشرف. الحياة. الولادة - حتى
المقدسات، وكل الخيرات... بين مخالها، هذه المفترسة. ويستمر
في وصف جراحات الوطن، يريد قتل الوطن وحيائه من
جديد... لكي ينهض قوياً في وجه قاتله... وبلغة من نار
وحسرة يقول:

وجريمته الجريمة.. القتل.. القتل... نحن أموات.. نتنظر
بعثاً جديداً.. منذ مقتل يوحنا المعمدان - وينتظر الولادة
الثانية - ينتظر الثورة.

في هذه الفقرة.. توهجت لغة الشاعر.. فالحالة التي يعانها
تطلبت ذلك، إنه يرى النزف ويتألم. وكلما كان الألم كبيراً
وحريقاً، كانت الصرخة حادة... وقد استخدم الشاعر - أسماء
الأمكنة التي تلعب دوراً في بناء قصيدته، بتسبورغ -
هارفارد - برنستون - تمبل (فيلادلفيا) - واستطاع أن يستخدم
صوراً مألوفة بايقاع شعري جديد: ٣ - النظام الذي يبني العالم
هو الذي يبدأ بقتل الأخ، وأبتكر ضدك يا بلادي،

أهبط في جحيمك وأصرخ:

أقطر لك اكسيراً ساماً

و أحييك -

المصيبة التي ابتلي بها الوطن، يحاول الشاعر أن يجد دواء
مضاداً، من الموت يخلق الحياة - يقطر اكسيراً ساماً - كل هذا
الايقاع المتوتر يدل دلالة واضحة على ما في أعماق الشاعر من
انفعالات وهيجانات لا تتوقف..

الثورة الناقصة والكلمة الكاملة:

اكتبوا - من المحيط إلى الخليج لا أسمع لساناً، لا أقرأ
كلمة. اسمع تصويتاً. لذلك لا ألمح من يلقي ناراً - الكلمة أخف
شيء وتحمل كل شيء. الفعل جهة لحظة، والكلمة الجهات كلها
الوقت كله. الكلمة اليد، اليد - الحلم:

اكتشفك أيتها النار يا عاصمتي،

اكتشفك أيها الشعر،

في كلمات أمثال: الأرض ثدي - حيلة هندسية - الشاهدة -
صور مشحونة بالحدائث - الثدي: علامة الشهوة، وقد تكون
الحياة - الشاهدة إشارة إلى الموت - هكذا يبدو لي.

إذاً في البداية: يرى الشاعر الأرض حتى الآن مغلولة
مفتصبة، تحتلها، أو تسيطر عليها حضارة مادية كل ما فيها
القتل والإجرام - المكر والخداع في صورتها الخارجية، وفي
الخفاء شعارها الدمار.

نيويورك - وول ستريت - الشارع ١٢٥ - الشارع الخامس -
شبح ميدوزي يرتفع بين الكنف والكنف. سوق العبيد من
كل جنس، بشر يجيئون كالنباتات في الحدائق الزجاجية.
بائسون غير منظورين يتغلغلون كالغبار في نسيج الفضاء -
ضحايا لولبية،

الشمس مآتم

والنهار طبل أسود.

نيويورك الرعب والقتل والافتراءات، تلاحق الإنسان في
كل مكان... هنا حيث يستعبد البشر من كل الطوائف. البشر
سجناء، مطحونون، خارجون عن انسانياتهم، مغتالون... كل
شيء فيهم ينطق باليأس والمرارة. كل شيء في حداد، الأيام
خواء وقلتي...

هنا تحتد لغة الشاعر، مشحونة بتيار الجد، والصور
المثلاحة... شبح ميدوزي - ميدوز الاسطورية التي تحيل كل
من تراه إلى حجر - هنا القتل - بشر يجيئون كالنباتات في
الحدائق الزجاجية - يتغلغلون كالغبار في نسيج الفضاء - البشر
غبار - الكثرة واللااعتبار واستلاب المضمون الإنساني - الفضاء
نسيج يمتصهم... ضحايا لولبية - يتكدسون فوق بعضهم
البعض - الشمس مآتم - تجسيم للشمس إنها في حزن - صورة
تضادية - فالشمس تضيء - لكن الشاعر انطلقاً من حالته
النفسية المتوترة يرى فيها صورة الموت والحزن ليس إلا. وكذلك
النهار. انقلب بياضه إلى سواد - كل شيء منقلب إلى
النقيض - لأن نيويورك الشاعر، حضارة بأربع أرجل.

الشاعر ونيويورك والوطن والغضب:

رأيتُ الخريطة العربية فرساً تجر جر خطواتها والزمن
يتهدل كالخرج

نحو القبر أو نحو الظل الأكثر عتمة، نحو النار المنطفئة...

أو نحو نار تنطفئ

أيضاً:

ولنعن:

١ - الفضاء يقاس بالفقاص أو بالجدار،

...

٤ - القمر والشمس درهان يلمعان تحت كرسي السلطان،

....

وأعترف: نيويورك، لك في بلادي الرواق والسرير،

الكرسي والرأس، وكل شيء للبيع: النهار والليل،

وأعزّي بيروت. تلبسني وألبسها، نشرد كالشعاع ونسأل: من يقرأ، من يرى؟ الفانتوم لدايان والنفط يجري إلى مستقره.

.....

هكذا أضرم لهي .

نطلع في العيون السوداء المسجّة كالمقابر لنقلب الكسوف،
نسافر في الرأس الأسود لنواكب الشمس الآتية.
يدخل الشاعر إلى قلب الوطن، يراه ينزف، ينزف، يريد أن
يعيد إليه الحياة، يتكر الدواء الناجح - الإكسير - يتأمل
خارطة الوطن الممزقة... كل شيء مغطى بالصمت المسموم.. لا
يرى بشير ثورة.. يسمع صوت ثورة، ولا يرى من يقوم بها.. يرى
سراباً والسراب وهم.. ولهذا لا يجد أملاً في انقاذ الوطن.. يخرج
من الوطن، أو يبقى في رحمة، يستثير الكلمة، يشحنها بكل ما
يملك من ألوان الغضب، يرى في الكلمة الأمل، الصرخة
المكبوتة تنفجر من أعماق الكلمة.. إنها هي التي تستطيع أن
تغطي كل المسافات، طالما لا يوجد في الساحة صوت ينادي
بقيامه الثورة.. ويكتشف الثورة، الثورة هي ما يريده الشاعر،
لتجاوز الحتة... وفي الثورة، يكتشف الشعر. الشعر السلاح...
يتمزج بانفعالات الوطن، يتمزجان معاً، بيروت: الوطن...
يسألان وهما يريان الفاجعة: العدو يحيط بالوطن... وخيرات
الوطن - النفط - تذهب إلى حيث العدو... ويشعل ثورته
الشاملة - هكذا أضرم لهي - وحده من بين الجميع يدرك
الخطر.. يقتحم الصدور العميلة، يعلن الثورة على العملاء، ومن
هناك تبدأ المواجهة مع العدو... ومن هناك تولد الشمس.. تولد
الثورة المنتصرة... يولد الأمل، والشاعر هو المشر.

هذه اللحظة يتغير الايقاع الشعري... الثورة: الوهم..
الكلمة: الثورة. الكلمة: الجهات كلها. الشعر: الكشف
والاكتشاف - الالتحام بيروت - الوطن - رؤية الحقيقة... رسم
خطة الهجوم: من الرأس الأسود - من قلب الواقع العفن..
الانتصار على ذل الذات، تقويتها، والاندفاع باتجاه العدو..
لاحراز النصر.

الشاعر يعد جرائم نيويورك:

نيويورك،

نقطة تهول في فضاء الأرقام

.....

ثلجك يحمل الليل، ليلك يحمل الناس كالحفافيش الميتة. كل
جدار فيك مقبرة. كل نهار حفار - أسود،
يحمل رغيماً أسود صحناً أسود
ويحطط بها تاريخ البيت الأبيض.

.....

هارلم - بدفور دستوينسنست: رمل من البشر يتكاثف
بروجاً بروجاً. وجوه تنسج الأزمنة. النفايات ولائم للأطفال،
الأطفال ولائم للجرذان... في العيد الدائم لثالث آخر: الجاي،
الشرطي، القاضي - سلطة الفتك، سيف الإباداة.

.....

ويبدأ الشاعر بفتح ملف نيويورك، وكشف الجرائم... إنها
مدينة المادة - المدينة التي لا تعرف سوى الدخان وضجيج الآلة
وامتصاص دم البشرية... ويواجهها الشاعر، ويحصي جرائمها:
كل تصنعاتها، كل مظاهرها، تحمل في أعماقها، الظلام، شعارها
العبودية، استعباد الآخرين... ليلها مسلسلات من القتل
والمطاردات المستمرة، كل شيء فيها مخيف معبأ بجثث القتلى -
كل جدار فيك مقبرة = اساسها قائم على القتل - كل شيء يحمل
الدمار.. الدمار والرعب في كل مكان.. تاريخ الولايات
المتحدة، المتمثل في البيت الأبيض - تاريخ أسود - لأنه ملطخ
بالعار... لماذا؟ لننتقل إلى - هارلم: حيّ الزوج البؤساء في
نيويورك... هناك حقيقة نيويورك - حقيقة البيت الأبيض،
هناك ينكشف الحق وينكشف الباطل. ماذا نجد؟ الناس
الجائعون خارجون عن دائرة انسانيتهم... الأطفال الجوعى،
ينشون المزابيل بحثاً عن لقمة خبز... إنهم يموتون... تستقبلهم
الجرذان... وفي الطرف الآخر.. يستمر القتل... وتستمر إبادة
الزوج. الجاي والشرطي والقاضي هم القتلة السفلة.

استطاع الشاعر أن يثير اللغة. أن يفجر لغة داخل لغة -
ثلجك - يحمل الليل - الثلج يرمز إلى البراءة أو الطهارة - أو
الهدوء - مقابل الليل الذي يرمز إلى العبودية أو الغريزة
العمياء أو الظلم - رمل من البشر - إشارة إلى ازدحام الناس -
النفايات ولائم للأطفال - إشارة إلى الجوع - والولائم هنا -
أعطت للوتر الشعري ايقاعاً متوهجاً - فالوليمة تكون عامرة
تقام في المناسبات - وهنا - يبدو أنه حتى النفايات نادرة. وحتى
توجد، تكون فرصة مدهشة للأطفال الذين يبحثون عن الشبع. -
سلطة الفتك - سيف الإباداة: تعبيران مألوفان يرمزان إلى
استمرار الاضطهاد والاعتقال الجماعي وملاحقة الزوج وقتلهم
باستمرار.

الشاعر والرؤيا:

هارلم،

الزمن يحتضر وأنت الساعة،

.....

أنت المحاة لتمحو وجه نيويورك،

نيويورك = Subway × I.B.M آتياً من الوحل والجريمة

ذاهباً إلى الوحل والجريمة.

هارلم، نيويورك تحتضر وأنت الساعة.

يرى الشاعر أن نيويورك تحفر قبرها بيديها - الفكرة تلد
نقيضها (هيجل - ماركس) إنها تقتل... وهذا القتل هو نفسه
الذي يقضي عليها يوماً ما.. وهذا ما يريد الشاعر اثباته...
فينادي حيّ الزوج، هارلم - وهو يرى المستقبل - أو اللحظة
التي تدفن فيها نيويورك... جاءت اللحظة الحاسمة، وانت يا
حيّ الزوج خير من يقوم بالمهمة - ماذا يفعل؟ يحو نيويورك...
يدفنها... يدفن متوحشياً..

ويخبرنا الشاعر أن صاحب نيويورك، أن الذي أراد
نيويورك أن تكون هكذا... إنما لطخ تاريخه بالجرائم والهوان..

وطريقه الموت الزؤام... ويعود إلى - هارلم - من جديد -
ليقول: إن نيويورك تحتضر، أي خارت قواها، وأنت الزمن
الذي يوقف نبضاتها، ويخلق نيويورك مدينة جديدة، لا تشبه
نيويورك المدينة ذات الوجه الأسود.

الصور التي استعملت بصورة حديثة - الكتابة الأجنبية -
وكان الشاعر يقول: الذي يريد قراءة قصيدة ما عليه أن يرتقي
إلى مستوى القصيدة، أي أن يتشقف - الزمن يجتضر - دلالة
الموت - وأنت الساعة: عبارة قديمة - من (والساعة آتية لا ريب
فيها) أي القيامة - وهنا الثورة -

الشاعر: الشاهد الأول:

لنكولن،

تلك هي نيويورك: تتكئ على عكاز الشيخوخة وتتزه في
حدائق الذاكرة، والأشياء كلها تميل إلى الزهر المصنوع. ويعلو
صوتي: حرروا لنكولن من بياض المرمر، من نيكسون، وكلاب
الحراسة والصيد. اتركوا له أن يقرأ بعين جديدة صاحب الزنج
علي ابن محمد، وأن يقرأ الأفق الذي قرأه ماركس ولينين
وماوتسي تونغ والنفري، ذلك المجنون السهاوي الذي انحل
الأرض وسمح لها أن تسكن بين الكلمة والإشارة.

لنكولن..

تلك هي نيويورك: مرآة لا تعكس إلا واشنطن، وهذه
واشنطن: مرآة تعكس وجهين - نيكسون وبكاء العالم. يقلب
الشاعر أوراق التاريخ، يأتي بالحجة، بالشاهد، وهو الشاهد
الأول - ها هو لنكولن - محرر العبيد ورئيس الولايات المتحدة
السابق - يجيئه - يقول له انظر إلى هذه المدينة الهرمة، التي
تقترب من هاوية النهاية، تلوك مجدها الغابر الملتخ والموشى
بالجرأتم - كل ما فيها ملوث بدخان الصناعة. يسير بشكل
مبرمج. حيث المادة في أحط درجاتها.... وينتقل إلى ايقاع
أشد. يصيح... ها هو لنكولن المحاصر بالحضارة المادية النتنة...
وبالمخابرات وأجهزة الأمن السرية - ونيكسون بداية أو ممثل
الجريمة - ويريد الشاعر من لنكولن أن يتغير، أن يخرج من
القفص الأمريكي، ويرى وجه العالم بعد إحيائه - وتطورات
التاريخ - وثورات الأبطال والشعوب، صاحب الزنج الثائر -
ماركس - لينين - ماوتسي تونغ - النفري (الصوفي العربي الكبير
الذي غرس بذور السورالية في كتاباته الصوفية، وأعطى للغة
انطلاقة قوية - أو موجة من المعاني - حيث لكل كلمة معنيان
ظاهر وباطن).

وينادي لنكولن مرة أخرى - يريد أن يريه حقيقة
نيويورك: نيويورك ابنة الجريمة... وواشنطن البذرة الأم.
واشنطن - البنناغون - القتل - حقيقتها: هواية اضطهاد
الشعوب وقتلها وإحياء الجريمة المتمثلة في نيكسون الممثل في كل
مكان.

هنا وضع الشاعر الكلمات في قوالب جديدة. ففيما يخص
الشخصيات، أي الاسقاطات التاريخية، هناك طائفة من الرموز
الغامضة وشبه الغامضة. تشخيص نيويورك - بعجوز هرمة -

عكاز الشيخوخة = نهاية العمر. تتزه في حدائق الذاكرة: لم يعد
لها إلا أن تسترجع ماضيها، وتلوك ذكرياتها القديمة المشبعة بالدم
المستباح والمشبعة بالخطط الداهية السفاكة - هكذا يبدو لي
التفسير - الزهر المصنوع = عصر الصناعة الآلية - المادة -
فقدان الروح - بياض المرمر: القوانين الأمريكية - الرقابة
المستمرة - سحر الدولار - كلاب الحرائق: المخابرات...
نيكسون وبكاء العالم: نيكسون: القتل المستمر: الطغيان:
الجرأتم. بكاء العالم: الشعوب التي عانت الولايات نتيجة سياسة
أمريكا المتمثلة في نيكسون (سياسة العدوان والنهب - في -
فيتنام - كمبوديا - فلسطين... الخ في عهد رئاسته - في
السبعينات).

الشاعر والثورة الفردية ومواجهة نيويورك:

نيويورك،

احصرك بين الكلمة والكلمة. أقبض عليك، أدرجك،
أكتبك وأحوك.

.....

استلقي بين فخذي لأنحك مدى آخر؛ وأشياءك: اغتسلي
لأعطيك اسماء جديدة.

.....

مع ذلك، ليست نيويورك لغواً بل كلمة. لكن حين أكتب:
دمشق، لا أكتب كلمة بل أقلد لغواً. دال ميم شين قاف... ما
تزال صوتاً، أعني شيئاً من الريح. خرجت مرة من الخبر ولم
تعد. الزمن واقف حارساً على العتبة يسأل: متى تعود، متى
تدخل؟ كذلك بيروت القاهرة بغداد لغو شامل كهباء
الشمس... شمس، شمس، ثلاث، مئة....

الشاعر يرى رؤى، والرؤى طريق الشاعر وحده، إنه يقرأ
المستقبل ويكتشف سر الغموض. أي يستقرى الوجود كله، إنه
يعرف حقيقة نيويورك، ويعرف من هي. هو نائر عليها. يريد
أن يجمدها في مكانها. أن يوقف حركتها. أن يقبض عليها،
ويفنيها، لأنها لا تستحق الحياة - وينتقل إلى نقطة أخرى. يريد
أن يجعل منها نيويورك أخرى، أن يطهرها من رجسها، من عفن
الجريمة. ليلبسها ثوب الطهارة والتمدن الإنساني، ويعطيها اسماً
آخر، لا يتعلق بمسلسلات الاجرام. ويكشف لنا حقيقتها. إنها
جامدة فقط كلمة، وفي الطرف المقابل يرى الحيوية والحركة في
دمشق، ودمشق هي انطلاقة الشاعر، هي حلمه الذي ينهض
الآن حقيقة... ليست كلمة.. إنها تنهض نائرة. ولقد كانت مع
الثورة وفي الثورة... وها هو ينتظرها لتنهى مهمتها...
القضاء على كل ما يسها بسوء، والوقوف في وجه نيويورك...
مثلها - أي مثل دمشق - هناك المدن العربية الكثيرة - ذكرها
الشاعر - قادرة على القيام بهذه المهمة.. لخلق ثورة جبارة تلد
السلام. في هذه الحالة - أكثر الشاعر من التشخيص، وكان لا بد
مما ليس منه بد - نيويورك محصورة - متهمه - مستلقية - يريد
غسلها - وكذلك دمشق.. شخصها وهي تلبس قوة الريح -
الثورة - والزمن واقف - تشخيص - أي الانتظار. وأعتقد أن

كل ما جاء في هذه الحالة كان عبارة عن شلال ينسدل ببطء -
شلال من الأضواء - على القلب .
سأترك الحالة الثامنة - لأنها أيضاً تتحدث عن نيويورك
وجرائمها، عن فظاعة أساليبها اللانسانية، وماديتها القاتلة -
صوتك إكسيد - سم مما بعد الكيمياء، وأسمك الأرق
والاختناق - ونهضت في الصباح صارخاً: نيكسون، كم طفلاً
قتلت اليوم؟... الخ -

الشاعر وإعلان الساعة وموت نيويورك:

ويتان،

«الساعة تعلن الوقت» (نيويورك، المرأة قامة، والقامة
زمن يتجه إلى الرماد). «الساعة تعلن الوقت» (رسالة آتية من
الشرق. طفل كتبها بشريانه. اقرأها: الدمية لم تعد حمامة.
الدمية مدفع، رشاش، بندقية... جثث في طرقات من الضوء
تصل بين هانوي والقدس، بين القدس والنيل.

.....

نيويورك + نيويورك = القبر أو أي شيء يجيء من القبر،
نيويورك - نيويورك = الشمس .

يرى الشاعر أن كل شيء قد حان قطافه، ونيويورك هي
الثمرة العفنة التي حان لها أن تسقط من شجرة الكون. لأنها
تشوه منظر كل الثار، وتنقل إليها العدوى، ويعلن الثورة..

ويتحدث مع - ويتان - الشاعر الأمريكي العظيم، والذي
انتقد كل سلبيات المجتمع الأمريكي، والذي كان محباً
للإنسانية. جمعاء - يقول له - القيامة أن لها أن تقوم، أو بتعبير
أصح.. الثورة تنبئ بقدومها - ونيويورك المكتهلة، والعجوز
القدرة والعفنة... مات زمنها المحشو بالبنادق والمشايق والملاذات
المنحطة، إنها تتجه نحو نهايتها - وينتقل في فقرة أخرى من هذه
الحالة، يخبرنا عن جهة الثورة وهي تعلن قيامها.. إنها من شرقة،
من موطنه.. ثورة البراءة على الوحشية، ثورة الدم على
سفاحيه.. لقد تغير كل شيء - هكذا يقول لويتان - لقد تغير
الزمن - لم يعد هناك لعب بالدمى - هذا عصر اللعب بالأسلحة
دفاعاً عن الحرية والسلام... ويرى المدينتين الباسلتين في
التاريخ - احداها هانوي - رمز الصمود - في قارة أمريكا -
والأخرى - القدس المحتلة رمز البقاء - بين هاتين المدينتين
يتساقط الناس، ولكنهم يغيرون جهة التاريخ لصالح شعوبهم،
إنهم يقتربون من الضوء، من السلام. وبين القدس والنيل
الكفاح المستمر... هناك عدو اسمه: العدو الصهيوني... الثورة
في وجهه، والقضاء عليه، وبين نيويورك وتل أبيب، تم
مسلسلات الإجرام.

وفي الفقرة الأخيرة، يعلن عن الطريقة المتكررة في القضاء
على نيويورك - في شبه معادلة. طالما هي باقية، فكل شيء ما
عداها يتجه نحو الموت - وإذا ماتت أو اندحرت فكل يتجه نحو
الحياة. أو بموتها ترفع الحياة علم السلام.

لجأ الشاعر إلى الرمز مرة أخرى، ولكنه رمز واضح ويؤدي
مهمته، إن نيويورك: امرأة. المرأة: قامة - التعفن - الرماد:

النهاية - وما يتعلق بالدمية والحمامة.. وطرقات من الضوء
وتتضح رؤية الشاعر وابداعه في لعبته بالكلمات، هذه اللعبة
التي تخدم الايقاع الشعري.. وخاصة عندما تحدث عن نيويورك
في النهاية واستخدم اشارتي الزائد والسالب.

الشاعر والعودة إلى الأرض - الواقع

أقول وأكرر،

الشعر وردة الرياح. لا الريح، بل المهب، لا الدورة بل المدار،
هكذا أبطل القاعدة، وأقيم لكل لحظة قاعدة.

.....

هكذا،

أحمل كوبا على كتفي وأسأل في نيويورك: متى يصل كاسترو؟
في بين القاهرة ودمشق أنتظر على الطريق، المؤدي...
التقى غيفارا بالحرية. تغلغل معها
في فراش الزمن وناما.

والآن.....

حيث تتناسل ألف ليلة وليلة وتختفي بثينة ولبلى.
حيث يسافر جميل بين الحجر والحجر، وما من أحد يحظى
بقيس.

لكن،

سلام لوردة الظلام والرمل
سلام لبيروت.

في الحالة الأخيرة يكون الشاعر قد رأى كل شيء، وقال ما
في أعماقه من همسات تعبر عن رؤيته. إلا نقطة واحدة. صحيح
أنه تحدث عنها، لكنه يؤكد هنا على مدى اهتمامه بها - الشعر
الواقع - كلاهما متصل بالآخر. الشعر وردة الرياح - إنه ثورة
أيضاً. أو من نتاج الثورة - له خاصيته المميزة - لا الدورة، بل
المدار - لقد أقيمت الشعر، ورأى الشعر والقواعد التي تكبله -
لكنه انطلاقاً من رؤيته إلى القفز نحو التجديد، تجاوز هذا
المفهوم. ترك القواعد، وأسس لنفسه قاعدة جديدة. بل إنه
يؤسس في كل لحظة لشعره لوناً جديداً هو قاعدة - ومثلها يعمل
هكذا - مثلما يجب الثورة في الشعر، هكذا يتجه باتجاه - كوبا -
وكوبا - هي التحدي والعنفوان - بشخصها - ويحملها معه،
ليقاتل بها غطرسة نيويورك.. وينتظر المناضل - كاسترو،
وكاسترو - النمر الذي يبيت الذعر في أعماق نيويورك..

وهكذا يكون بين القاهرة ودمشق - مدينتان عنوانها
المقاومة - هناك حيث ترعرع الثورة. إنه يحلم، والشاعر عندما
يندمج مع قصيدته، يتسامى، ويتغلغل في حروف القصيدة.
وحين يصحو، حين يعود إلى واقع وطنه، يرى كل شيء مضمخاً
بالأسى والجمود - لأن الحرافات لم تزل تعشش في العقول -
تتناسل ألف ليلة - ولأن بثينة الوطن ولبلى الحب والإنسانية،
لم يأت زمن ميلادها، بل هما عائستان، ولكنها محاصرتان
بالخرافة والتقاليد البالية، والموروثات العفنة التي لم تزل تولد
من رحم الماضي.. وهناك - جميل - المناضل الذي يجب وطنه
والخلص لأمتة - تقف في وجهه العوائق.. كل ما يفكر فيه

تكون النتيجة العمق، (والحجر يرمز إلى العمق والفشل) وكذلك قيس هذا المشبوب بحب - ليلي - الوطن - الثورة - لم يهتم به أحد. هنا يعطينا الشاعر حقيقة الواقع العربي. الثوري المخلص يوجد، ولكن ليس ثمة من يمضي وراءه ويشجعه.

ورغم ذلك فالشاعر يحب وطنه.. ولا يسعه إلا أن يجي - الوردية - التي لم ترها الأقطار، المدفونة في أعماق الخرافات والأفكار البالية.. إنها بيروت الرمز - بيروت الوطن - الوردية المنفية والمطمورة في الرمل، والظلام الحالك... إنها الثورة التي تنتظر طلوع الشمس..

★ ★ ★

هذه هي قصيدة أدونيس « قبر من أجل نيويورك » وهذا هو أدونيس الشاعر الذي يرى رؤيا... الذي ينتقل بين الكلمة - القول - والواقع - الفعل - الواقع الجمرة - الذي يضع الشعر في مرتبة القداسة - لأنه الميكروسكوب الذي يرى ويحلل غوامض الأشياء. ومهما قيل فأدونيس، وكما قال الناقد يوسف

سامي اليوسف: (شاعر الحياة بكل وضوح، إذ لا شيء يهيم على تفكيره سوى الخلق والتحول، وسوى الصراع الحي النابض، مرفوعاً إلى أفق الصورة الفنية المستولدة بأرابة نادرة. إنه محاولة جادة لاستنباع بحضور الحياة الأبدية).

القامشلي

إشارات:

- ١- أدونيس: وقت بين الرماد والورد - دار العودة - بيروت - يناير - ١٩٧٢.
- ٢- أدونيس: مقدمة للشعر العربي - دار العودة - بيروت - ط ٣ - ١ - ١٩٧٩.
- ٣- شكري، غالي - شعرنا الحديث إلى أين؟ - دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط ٢ - ١٩٧٨ - ص (١١١).
- ٤- داوود، أحمد يوسف: لغة الشعر - وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٨٠ - ص (٢٢٨).
- ٥- دكروب، محمد: الأدب الجديد والثورة - دار الفارابي - ط ١ - أيار - ١٩٨٠ - ص (١٢٥).
- ٦- اليوسف، يوسف سامي: الشعر العربي المعاصر: منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق - ١٩٨٠ - ص (١٢٧).

صدر حديثاً



د. غالي شكري

د. غالي شكري

يتابع الكتاب امتحان التاريخ لعروبة مصر.. وهو امتحان عسير.. فتعريب مصر يعني استقلالها الوطني وتقدمها الاجتماعي والثقافي، فمصر الإقليمية هي دائماً مصر المهزومة المتخلفة، لا حل وسط بين عروبتها وانتصارها وبين إقليميتها المهزومة، فيما أن تكون مصر عزبية أو لا تكون على الإطلاق.

١٧٦ صفحة ٢٤×١٧ ١٢ ل.ل

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

في عقائد الاسلام

رسائل الشيخ تبدأ بكتاب الجواهر المضية وفيه بيان عقيدته وما دعا اليه، وتليه رسائل في بيان حقيقة التوحيد والشرك والنفاق. ويذيله كتاب « جواب أهل السنة النبوية » لابن الشيخ محمد يورد فيه نتائج الفتنة ويرد على مزاعم الشيعة والزيدية.

١٥ ل.ل

٢٤×١٧

٢٣٠ صفحة



منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

صندوق بريدر رقم ٧٣٠٢ تلفون : ٣٤٩١٧٨ - ٣٤٩١٧٩